إيبارشية جنوبي أمريكا للأقباط الأرثوذكس

الرسالة الشهرية لزوجات الآباء الكهنة أكتوبـــــر ٢٠١٣ م

دور أم هوية

"زوجة الكاهن" هو مصطلح قد يسبب الفرح لدى البعض، ولكنه قد يسبب الضيق لدى البعض الآخر بما فيهم زوجة الكاهن ذاتها. لكن هل مصطلح "زوجة الكاهن" يشير إلى هوية أم إلى دور؟ الحقيقة أن الإجابة على هذا السؤال تحمل في حد ذاتها علاجاً للخلط والتشويش المرتبط بهذا المصطلح.

لكي نجيب على هذا السؤال ينبغي علينا أولاً توضيح تعريف كلٍ من مصطلحي "دور" و"هوية" بحسب علماء علم النفس الاجتماعي.

١) **الدور** هو مجموعة من السلوكيات الإنسانية التي توجهها توقعات معينة من قِبَل الشخص ذاته ومن قبل المحيطين به. أي أن لكل دور مجموعة من الأهداف والمهام والمنجزات المتوقعة منه. ومن أمثلة الأدوار: دور الطبيب، دور المهندس، دور الأم، دور الزوج، دور الرجل، دور المرأة...إلخ

٢) **الهوية** هي مفهوم الشخص عن ذاته المتفردة وتعبيره عن هذا التفرد. أي أنها وعي الشخص بالخصائص والصفات التي تميزه ككيان فريد. وتمر الهوية بمراحل مختلفة حتى يتم تكوينها، ولكن هذا التكوين قد يتعرض لبعض المعوقات التي قد تؤدي إلى تشويه الهوية. ومن أمثلة ذلك التشويه "ذوبان الهوية" و"أزمة الهوية".

ما هو إذاً الفرق بين الدور والهوية؟

يتضح من التعريفين السابقين أن الهوية هي كيان الإنسان ذاته ووعيه بهذا الكيان، بينما الدور هو مجموعة من السلوكيات الصادرة عن هذا الكيان تحت توجيه بعض التوقعات المنتظرة من هذا الدور. الهوية هي إذاً أعمق وأشمل من الدور. الهوية واحدة وحيدة، بينما الدور متعدد. بمعنى أن لكل شخص هوية واحدة ولكنه يقوم بعدة أدوار. فمايكل، مثلاً، هو كيان واحد ولكنه يقوم بدور الابن ودور الزوج ودور المهندس ودور الخادم في الكنيسة في وقت واحد.

الخلط بين الدور والهوية، بل والخلط بين الأدوار ذاتها، من أخطر الأمور التي تتسبب في العديد من المشاكل النفسية والاجتماعية، والتي تؤدي إلى تأزم الكثير من العلاقات. من أمثلة ذلك:

١) **اختزال الشخص لهويته في دور معين وتماهيه وتوحده مع هذا الدور**. بمعنى أن المسافة المطلوبة بين كيانه ودوره تتلاشى تماماً حتى أنه يستمد كل شعوره بكيانه وهويته من ممارسة هذا الدور وبالتالي لو نزع منه هذا الدور لأي سبب من الأسباب انهارت هويته وتحطم كل كيانه. هذا الأمر خطير جداً لأنه يتسبب في اختزال وبتر كل الكيان

البشري وحصره في إطار ضيق غير مرن يتسبب في العديد من المشاكل النفسية والاجتماعية.

لكي نوضح هذا الأمر نورد **مثال** الشخص الذي يتولى منصباً رفيعاً كأن يكون مثلاً رئيس جمهورية، أو رئيس هيئة، أو رئيس طائفة، أو رئيس جماعة...إلخ. إنه بدون أن يدري يوّحد بين "أناه" وبين دوره أو وظيفته، وبالتالي ينحصر مفهومه عن نفسه في كونه "فلان رئيس...." ويتخذ موقفاً هجومياً بل وانتقامياً تجاه كل من يحاول نقد دوره لأن هذا يشكل تهديداً لكل كيانه الذي اختزله في هذا الدور، وهو يفقد تدريجياً إنسانيته وتلامسه مع الواقع البشري، ولو حدث وانتزع منه هذا الدور لأي سبب من الأسباب فإنه ينهار بل وقد يصاب بالجنون.

مثال آخر متكرر أن تتوحد المرأة مع دور الزوجة أو دور الأم فلا ترى ذاتها إلا في هذا الإطار ولا تستمد شعورها بكيانها وتقديرها لذاتها إلا من قيامها بهذا الدور. وبالتالي لو حدث أن لم تتزوج المرأة لأي سبب من الأسباب أو لم تنجب، أو لو حدث أن هجرها زوجها أو توفى ابنها الوحيد فإنها قد تنهار وتتحطم تماماً .

* لكي تختبري نفسك إن كنتِ من هؤلاء الذي يوحدون بين هويتهم وأدوارهم، إسألي نفسك سؤالاً بسيطاً جداً وهو: من أنا؟ فلو وجدتي أن أول إجابة تأتي على ذهنك هي أنا دكتورة فلانة، أو أنا حرم أبونا فلان، أو أنا أم فلان...إلخ فإعلمي أنكِ تندرجين تحت هذه الفئة وأنكِ في خطر نفسي وإجتماعي بل وروحي أيضاً.

٢) **المبالغة في لعب دور معين على حساب باقي الأدوار**، وعدم مراعاة التوازن بين الأدوار المختلفة المطلوبة من الشخص. فقد يبالغ شخص في لعب دور الطبيب على حساب دوره كزوج وأب.

٣) **الصراع بين أدوار الشخص المختلفة** مثل الصراع الدائر لدى المرأة العاملة من جهة إتمام دورها في العمل ودورها كأم وزوجة، والصراع لدى الأب الكاهن بين دوره ككاهن ودوره كزوج وأب.

٤) **التثقل بعبء الدور** حيث يشعر الشخص بصعوبة شديدة في إتمام الواجبات المطلوبة من دوره. قد تكون التوقعات المطلوبة من مؤدي هذا الدور أعلى من إمكانيات الشخص فيشعر بإحباط وصغر نفس. فمثلاً ينتظر من الشخص الذي يضطلع بدور رئيس مجلس إدارة مؤسسة كبيرة القيام بمهام معينة دقيقة تتطلب مهارات خاصة لا تتوفر لدى الجميع.

الآن، أعود لأطرح سؤالي بشكل مختلف:

بعد أن يقبل الكاهن وزوجته الدعوة الإلهية للكهنوت وتتم رسامته، هل يصير كهنوته دوراً أم هوية؟

سأترككم للتفكير في هذا السؤال الصعب في ضوء ما تم توضيحه بأعلاه، وسنتناول الإجابة في مقال الشهر القادم بنعمة الرب.

(يتبع)